

المنافس الاستعماري

وأثره في اندلاع الحرب العالمية الأولى

د. عبد الله كاظم عبد

كلية التربية الأساسية جامعة البصرة

المقدمة

دشنت فرى العالم الكبرى خلال النصف الثاني من عام ١٩١٤ موجة جديدة من مراحل الصراع الدولي. إذ تطلعت خلال تلك الفترة الحرب العالمية الأولى التي استتحت حتى عام ١٩١٨، بتأثير عوامل متعددة شكلت منها مباشرة وأخرى غير مباشرة. وإذا كانت حادثة اغتيال ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرديناند فرانز فيسفا في سراييفو قد كانت بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل الحرب، فإنها لم تكن سوى نتيجة لظروف دولية معقدة، ظهرت خلال تلك الحرب وعلى أوسع نطاق تجلوت في آثارها ومبادئها حدود الفترة الأوربية.

وتذكر السؤال الذي يطرح نفسه هو: «أي العوامل كان أساساً في اندلاع الحرب العالمية الأولى وما مدى تأثيره؟» ، أن الإجابة على هذا السؤال هي هدف هذه الدراسة.

وقد اعتمد الباحث في تدعيم وجهات نظره على قائمة من المصادر العربية والمصرية، إضافة إلى بعض من مصادر التاريخ الأوربي بلغة الإنكليزية ومحاولة الاستفادة من بعض الوثائق المنشورة التي كان من أبرزها:

((British Documents on Origins of War 1898- 1914)) في حزمة الحادي عشر المجلدات ((

((Temperly , Gooch

وقد حاول الباحث الاعتماد بشكل كبير على حقيقة العناوين الفرعية بنية لمحاولة على وحدة الفكرة والموضوع.

والله من وراء القصد.

ذهب بعض المؤرخين إلى اعتبار التنافس الاستعماري الأساس وراء اندلاع الحرب العالمية الأولى. في حين قلل آخرون من أهميته باعتباره واحداً من العوامل غير المباشرة التي أسهمت في قيام تلك الحرب. غير أن هذين الفريقين لم يكونا لوحيداً في رأيها ومواقفهما من التنافس الاستعماري، ولم يكن ينبغي لفر إلى الدرجة التي يصور بها أصحاب الفريقين لسانين يشكن مطلق.

ولكن يبقى سؤال مفاده (لماذا الأراء الثلاثة لهذه وترجح ؟) ، ولكن وقبل الدخول في مناقشة هذا الأمر يجدر بنا العودة وضمن شطرنج منطقي وجزر نحيا إلى أسباب هذا التنافس الاستعماري ، وما هي أهم الميادين التي قدح فيها بين الدول ؟ وما إذا كان هذا التنافس قد أثار أزمات معينة ؟ وإذا كان قد عمل على زيادة وتأجيج الأزمات لم على حلها ؟ وفي حال إذا كان قد عمل على زيادة وتأجيج الأزمات ، فما هي النتائج التي تروبت على ذلك ؟ وهل تم حل لمشاكل الاستعمارية الناتجة عن ذلك ومن ؟ وما هي النتائج العامة للمشاكل الاستعمارية التي نتجت ؟

لم يكن التنافس الاستعماري وليد المسابقة ، بل أن هناك عوامل عدة كانت قد رزاه ، ولما الثورة الصناعية كانت أحد تلك العوامل ، حيث امتدعت الصناعة العلم ومسلت على مساحة العديد من القنيتين والكومرايين الذين ركزت الحضرة الصناعية على نتائجهم العلمية أمثال فرداي ونس وكائن^(١) .

كما أن الثورة الصناعية أدت إلى زيادة الإنتاج وتحسين نوعيته إلى درجة أصبحت معها الأسواق الأوروبية عاجزة بحملها على استهلاك البضائع المنتجة ، وخلق المحلل أمام استثمار رؤوس الأموال داخل القارة الأوروبية ، لذلك اتجهت الأنظار والجهود إلى خارج القارة بحثا وراء الأسواق وأسكن الاستثمار ومصادر المواد الأولية للصناعة المتنامية . وقد تمتثل تلك الجهود بين عامي ١٧٨١ - ١٩١٤ في محاولة الدول الأوروبية السيطرة على الأقطار الآسيوية والأفريقية للأغراض المذكورة آنفا^(٢) .

ومما يقدّر في مجال الثورة الصناعية ، أنها وعلى سبيل المثال وفرت مقدرا من الثواب بما يزيد على مرة من ذلك الثواب الذي أنتج واستخدم في حروب المليون وأعائه ، حيث أنتج في الأفران الحديدية والمصنع التي أقيمت في لورين^(٣) . ولعل أسكن استخدام هذه القوة المصنعة معروفة ، به أن الصناعة العسكرية أخذت تخطو خطوات سريعة بعد أن جندت طاقات الصناعة لخدمتها في العديد من البلدان الأوروبية .

وتتضح مسألة التنافس الأوروبي بشكل أكثر إذا ما أخذت المرحلة التي سبقت انعقاد مؤتمر برلين (١٨٨٤ - ١٨٨٥) ، حينما حوت محاولات لتقسيم غرب أفريقيا بين بريطانيا وفرنسا كمحاولة لواء ، غير أن الأمر تغير حينما أخذت ألمانيا كمنافس جديد في هذا الميدان ، ولا سيما وأن بيسرك كان يدافع عن المصالح التوسعية لألمانيا بين عامي ١٨٨٣ - ١٨٨٥^(٤) .

وإنشاء انعقاد مؤتمر برلين (١٨٨٤ - ١٨٨٥) ، تم الاتفاق على بدء إمبراطوريات استعمارية رسمية ، مما أدى إلى حصول كل القوى الكبرى لذلك على حصة في القارة الأفريقية ، وظهرت خلالها مملكة من صفوات التقاسم كما هو الحال في التقاسم الفرنسي - الألماني البريطاني - الألماني الذي حصل عام ١٨٩٠^(٥) . ونتيجة لذلك ظهر ما يسمى بالاستعمار الاستقراري - بى صبح التعبير - الذي كان سيؤدي كنتاجية حتمية إلى قيام

علاقات مرادفة بين التوكل الاستثنائية والمنطلق الخاضعة للقانون أو سيطرتها ، غير أن ذلك كثيراً ما أدى إلى قيام علاقات سياسية بين الدول الاستثنائية والمنطلق الخاضعة للقانون أو سيطرتها ، غير أن ذلك كثيراً ما أدى إلى قيام أزمات خطيرة جرحت السلم العالمي للخطر^(٢٧).

وقد دفعت الدول الأوروبية عوامل تعزز البعض منها بحاجة صناعاتها القومية من أسواق ومصادر للمواد الأولية ، في حين كان البعض منها يندفع من التزاماته بما تراه بعض الدول على أنه دليل على العظمة والقوة الدولية . لذلك اتجهت بعض الدول نحو الاستحواذ على مستعمرات جديدة ، مع التأكيد على تحديث قبضتها على مستعمراتها القديمة ، ورافق ذلك سباق في التسلح في المجال البحري بشكل خاص ، إضافة إلى ظهور نزعة العسكرية نحو اكتساب المستعمرات تلك^(٢٨).

كان من الطبيعي أن يشأ تنفس استعمرى واسع النطاق ، ازداد توسعاً مع زيادة الدول التي تستحوذ عليها هذه الأفكار : خاصة مع ظهور ألمانيا والولايات المتحدة والبرازيل التي كن لا يملكن إلا حصصاً قليلة جداً بالمقارنة مع ما كانت تمتلكه كل من فرنسا وبريطانيا .

وعليه فقد عملت ألمانيا التي كانت تعد من أكثر الدول نشاطاً في ميدان العمل والحصول على السيادة وإعادة تقديم مناطق النفوذ في العالم ، وتمثل ذلك بوضوح واضحاً من خلال التوسيع بأن ألمانيا تبحث لها عن مكان تحت الشمس . وقد يتوقع في تلك قوة ألمانيا وجنوبها وسعة اقتصادها والنمو السريع لسكانها ، وهو ما صرح به الألمان أنفسهم^(٢٩).

ومن أبرز الخطوات التي اتخذها الألمان في هذا المجال هو إرسالهم للمسلات العسكرية لتحقيق لأغراضهم كما أن ألمانيا عملت على تطوير وتوسيع لسطرها الحربي حتى أخذ يتفوق الأسطول البريطاني ، وعندما ثولت ألمانيا في القارة الأفريقية أصبح لها ما ينسب إليها ، فحصلت على ما يسمى بالبريقا الجنوبية للحرية الألمانية ، التي انطلقوا منها نحو توغو والكاميرون ثم إلى زنجبار^(٣٠).

ولم تقتصر جهود ألمانيا في هذا المجال على القارة الأفريقية ، بل أنهم أبثوا رغبة في التفاضل في لسركا اللاتينية ، لخص إلى ذلك ما أصبح عنه الألمان في القارة الأوروبية ذاتها عندما آمنوا يحلمون بإقامة (١) ألمانيا العظمى في قلب القارة الأوروبية لتشمل البلاد الإسكندنافية وبنجيا وهولندا ودول البaltic وبولونيا وأوكرانيا والنمسا والمجر وإيطاليا وقسم من فرنسا وأجزاء من السويد^(٣١).

وإنما ما ألقينا نفثرة سريعة على مثل هذه التطلعات لوجدنا أنها خفت، وبشكل موك لاكثر من قوة ضمنى في حينه ولا سيما روسيا فيما يتعلق ببلقان، وبريطانيا في بلجيكا وهولندا، وكذلك فرنسا والنمسا والمجر. وإن كانت هذه التطلعات تستثير بعض الدول، فإنها ستدعو الأخيرة قطعاً إلى ممارسة سياسة تحول دون إمكان الإعلان من تنفيذ تطلعاتهم الاستعمارية. ولعل ما يشير موضوعاً كهذا هو أن لعسكريين الألمان كانوا قد حذروا يوماً بإقامة إمبراطورية استعمارية تشمل مساحة واسعة من أفريقيا وأمريكا اللاتينية والسيطرة على المحيط الهادئ أيضاً.^(٥٦)

فجاء ذلك فظهرت فكرة التحالفات والانفصالات التي رسمت للوقوف بوجه أطماع تول معزلة أو تحول دول أخرى، أو الحيلولة دون تحقيق مطلق تول أخرى: أو التخفيف من احتمال نشوب حرب بسبب الانقسام القائم وتصاريح الامتلاخ. ولعل ومن أهم تلك التحالفات والانفصالات هي عصبة الأمم سنة ١٨٧٣، واتفاق عام ١٨٧٨ بين ألمانيا والنمسا والمجر، وما سمي بالحلف الثلاثي عام ١٨٨٢ (الذي ولدته من ألمانيا وتحول إلى فرنسا لوجدنا أنها مع جيرانها الاستعمارية في انقارة الأفريقية بأنها كانت تملك باستعادة الأناضول والشرقين اللذان فترجا منها حصة على يد ألمانيا في عام ١٨٧١ بعد حرب عام ١٨٧٠، كما أن لها حظاً توسعية في قلب ألمانيا أيضاً.^(٥٧)

من جهة أخرى كانت روسيا تسعى لاستعمار دول البلقان وتأمين منفذها إلى المياه النافذة عبر مضائق البلطيق والدانوبيل والسيطرة على هذه المضائق بالنتيجة.^(٥٨)

أما ما يخص بريطانيا العظمى فإنها اشتركت ولاكثر من مرة مع قوى أخرى دفاعاً عن بعض المراكز التي حصلت عليها مسبقاً، أو أنها كانت تحاول بشكل الحصول على مزايا جديدة. فتم تتوافق لمنازعات الاستعمارية في أمريكا مثلاً، وبخاصة بين الفرنسيين والبريطانيين والألمان. وإنما كانت بريطانيا قد واجهت منافسة ألمانية في جنوب أفريقيا، فكما واجهت تنافساً فرنسياً إيطالياً ألمانياً هذا في أعالي النيل، وقد نشبت بسبب ذلك بعض الالتزامات والتي من أشهرها أزمة فاشود.^(٥٩) عام ١٨٩٨.

لم يصل هذا التناقض إلى غايته إلا في الربع الأخير من القرن لتتسع عشر بعد أن نشأ نزاع شديد حول امتلاك المستعمرات، فلقد تم تقسيم أفريقيا، وشمل ذلك أيضاً بلاد فارس والدولة العثمانية، ولم يكن المتنافسون مدعومين بالرافع الاقتصادية فقط، بل أن عمل البحث عن الحرة القومية كان أحد الأسباب وراء ذلك والإحسان بالمنصف في حال ذلك امتلاك مستعمرات واسعة كما هو أمر المستعمرات البريطانية والروسية.^(٦٠)

أعقب ذلك انحدار الفترة العوسية مع المندبة الصناعية خلف للروح الاستعمارية المتلهبة التي نجحت الحرب العالمية الأولى^(٦١) بضاف إليها دخول الدول الكبرى وسحب الجهد في عظماء سابق لتسلح كشرط أساس في دعم تلك الروح.^(٦٢)

وبذلك يلاحظ أن الدفاع الاقتصادي لم يكن النافع الوحيد وراء هذه الجهود الاقتصادية ، فقد عملت الدول الاستعمارية على توجيه جهودها ثغوية المؤسسة العسكرية وذلك من خلال اتجاهين الأول : المحفظة على الجيوش والأعطال ، وتحمل نفقات إدارتها وتوسعها . أما الثاني : فقد انصب على السيطرة التي فرضتها فئة من العسكريين على مقاليد بلادهم والإدارة السياسية فيها معن إطار عسكري .

وإذا كان الحديث عن مبادئ التصالح ، فيجوز بنا الإشارة إلى أن كل من فرنسا وألمانيا مدفوعتان بدوافعها الخاصة بخوضان ميثاق التصالح منذ فترة ليست بالقصيرة بين عامي ١٨٧١ - ١٩١٤ ، كما طبقت فرنسا التجديد الإلزامي المستمر لهذا النزاع . ورغم هذا الميثاق فإن للتناقص الاستعماري لم يكن الهدف على الدوام ، بل أننا نلاحظ أن هذا التناقص كان ينفذ حيناً أو يخفف حيناً آخر ويعود إلى التهور مرة أخرى بحسب الإمكانيات والخطط المتاحة والمرونة (١٠٠).

ولا ضير أن نذكر أن عهد الجمهورية الثالثة في فرنسا وانتهاء من عام ١٨٧٩ قد أثر على تعمير وضع دولة ظهور فرنسا كدولة استعمارية تأتي بالمرتبة الثانية بعد بريطانيا في سعة المستعمرات فيما وراء البحار (١٠١) . في حين يعد البعض فرنسا بأنها استعمرت نفسها الاستعماري قبل تلك التاريخ ، وذلك في إشارة إلى عام ١٨٢٠ بحجة انقاع عن سلامة الأراضي الإقليمية لفرنسا (١٠٢).

ولكن لم يبق السبب وراء ذلك يكمن فيما ورد نكرد من أسباب ، وإنما أيضاً العديد من المعايير الفرنسيين يلجأون بضرورة استعانت فرنسا لمكائنها المعلقة في نظار أوروبا حيث اعتبروا أن لا سياسة الأحرار أنت فيما أنت إليه إلى اتساع فرنسا في المحيط الأوروبي (١٠٣).

ومن الجانب الآخر وجدت معظم الدول في نظام التجديد الإلزامي الذي طبقته ألمانيا ، أسلوباً منظماً وحالياً لذلك فقد اتبعته كما أثر ذلك بالفرجة على تشكل السلطة الحاكمة حيث أصبحت هي طبقة الضابط وبخاصة في ألمانيا (١٠٤).

ونتيجة للتناقص الاستعماري لوحظ أن القوى الاستعمارية قد ولت ، مستعمراتها من الأسلحة ما يقارب ٩٥% من مساحة سطح الأرض من عشية قيام الحرب العالمية الأولى (١٠٥) . ولعل ذلك يدل على أنه لم يبق شيء لم يتم احتلاله أو بسط النفوذ عليه . يضاف إلى ذلك إمكانية حل العديد من الأزمات التي تثبتت بين الدول الكبرى ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى نهايته ، حيث بلغت تلك الأزمات التي أمكن حلها ما يقارب الخمس ويمسحون أزمة . وقد ازدادت مثل هذه الإنكسار مع عقد مؤتمر في لاهاي عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٧ لتبحث في أمر التصالح وإقامة محكمة لتفض النزاعات (١٠٦).

وبذلك يلاحظ بأن ليس هناك ما يشير إلى حدوث تصادم كبير وخطير يستلزم أن يثير الحرب أو يؤدي إليها ، بل أن الاتجاه كان يميل نحو تسوية وحل ما أمكن من الخلافات . وبذلك يصبح الدول بل أن تستخدم المصلح الاقتصادية لدول ثم يكن كفيلا لاندلاع الحرب العالمية بالشكل الذي نتجت عليها^(١٩٧٧) .

فقد كان يمكن أن تحدث الحرب بين فوتين أو ثلاث لو مصوغة صغيرة على أكبر نطاق . وهذا ما حصل مثلاً عند اندلاع الحرب بين روسيا واليابان عامي ١٩٠٤-١٩٠٥ ، أو التهديد بالحرب ، كما حصل بين فرنسا وألمانيا ، أو تغيير نظام التحالفات الدولية كتروقيع الاتفاق الفرنسي الإيطالي عام ١٩٠٢ ، والفرنسي البريطاني عام ١٩٠٤ ، والبريطاني الروسي عام ١٩٠٧^(١٩٧٧) .

عند حلول القرن العشرين لم تبق بقعة قابلة للتسكن سوى أن تهتدي إليها إحدى الدول الكبرى ، ولم يبق شيء بالنتيجة لأن يتم التناقص عليه إلا أن توسع بعض الدول نفسها على حساب البعض الآخر^(١٩٧٧) ، الأمر الذي كان لابد أن يؤدي إلى حدوث استخدام عسكري قد يؤدي إلى إشعال نار الحرب .

ويبدو أن بالإمكان تقسيم المراحل التي مر بها التنافس الاستعماري إلى المراحل الأربعة :

تمثلت المرحلة الأولى في الترجمة الحميم لبعض الدول نحو تحقيق مصلحتها الاقتصادية . تبعته مرحلة الاستحواذ والتنافس والميلولة والمحافظة على ما أمكن من الممتلكات ، غير أن هذا لم يستمر إلى ما لا نهاية فقد تم تغطية سطح الكرة الأرضية بشكل كامل بالسيطرة الأجنبية^(١٩٧٧) . وبدأت المرحلة الانتقالية ما بين نهاية التنافس على الممتلكات وبين محاولة بعض الدول التوسع على حساب البعض الآخر . وهي المرحلة التي بدأت خلالها محاولات التسوية وحل النزاعات .

ومن الأمثلة على محاولة إيجاد الحلول على بعض الأمثلة هو مشروع سكة حديد بغداد برلين ، الذي تم تنهيه أزمته إلا عندما فتحت الأبواب أمام لمصادفات بين بريطانيا وألمانيا ، وفي الوقت نفسه التي رأت فيه بريطانيا وفراً أن من المصلح لكليهما الركود إلى إنهاء التوتر في العلاقات الدولية وإعطاء فرصة لألمانيا في الميدان الاقتصادي ، حتى أن إيرارد غراي أعلن في مجلس العموم البريطاني في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١١ ، بأنه إذا كانت ألمانيا ترغب في أن يكون لها مكاناً تحت الشمس في أفريقيا فإن بريطانيا لن تشجع الغزوات في هذا السبيل ، فضلاً عما صرح به وزير الدولة لشؤون الخارجية في ٢٠ كانون الأول ١٩١١ في أمدة لنداته مع السفير الألماني أن بريطانيا ليست لديها النية لمنع الأراضي الألمانية من الامتداد إلى الشرق أو الغرب عبر أفريقيا الوسطى^(١٩٧٧) . وبذلك بالمعظم أبدته بريطانيا في تفعلتين همتين مما تسهيل عملية التوسع الاقتصادي والإقليمي لألمانيا وهذا يؤكد

أن مسألة التنافس الاستعماري خارج أوروبا لم يكن لها شأن كبير على التوجه صوب حرب عالمية ، حيث أن العداوة والصراع لا يظهر في الجغرافيا الاقتصادية الألمانية .

ولكن إذا ما قورن بين ما تحديه بريطانيا الآن وما كانت عليه العلاقة بينها وبين ألمانيا من تصور كما في عام ١٩٠٨ ، عندما اندلعت الأزمة بين الدولتين حول الاقتراح انيريطاني المتضمن تقليص معدل بناء الأسطول الألماني لأن في ذلك سببا يؤدي إلى تخفيف حدة التوتر والاقتصاد في النفقات ، لوجدنا أن بريطانيا في سوقها هذا وما قبله من روسيا في حينها يوحى تسما بأن بريطانيا كانت على معرفة مسبقة من احتمال حدوث حرب في غضون سبع أو ثمان سنوات أو أنها كانت تعد الحدة لضمحل مثل هذه الحرب (١٩١٤) ، ولعل ما يؤكد ذلك هو قيامها بالمناورات البحرية بين عامي ١٩١٣-١٩١٤ وفي خططها اعتبرت في حينها 'العتيل' حقيقة لتتلم التهيئة الكامل (١٩١٤).

أما روسيا فقد كانت تبحث عن السيطرة على الحضائق التركية ، غير أن ألمانيا كانت تتنافسها في ذلك ، حيث أن الأخيرة كانت قد أرسلت بعثة عسكرية لتنظيم على تنظيم وتدريب الجيش الألماني (١٩١٤) ، وهي الخطوة التي راجعها معارضة روسية حيث أن تحكم الألمان بالمضائق العثمانية يحكم علاقاتهم الودية مع الحكومة العثمانية بعد استنواها روسيا التي كانت تلحظ بفرص سيطرتها على تلك المضائق.

نصف إلى ذلك تغير طبيعة الصراع عما كان عليه قبل الحرب الإقراطية ، فقد كان الصراع حينذاك حول شبه جزيرة البلقان ، في حين أصبح فيما بعد صراعا مباشرا هدفه لتخاض على المضائق العثمانية (التركية) ، وإذا كان قد تم تسوية هذا الموضوع فإن جنود لم تمنع بالتسوية مما كان يندب بالتداع حروب بين الدولتين (١٩١٤).

وبالمقابل وبعد أن أصبحت المناقشة حول المصالح هي الأساس بين الدول الأوروبية ، أخذ سياق التسليح يفسر خطوات مزبعة وكيرة 'ملاحقة' وذلك إلى أنسفت إليه أغلب الدول الأوروبية وبأوجه عشية قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤).

وعلى سبيل المثال قررت ألمانيا زيادة حيوتها الدائمة وصوتت بصوت مبالغ عليه على الأور العسكرية غير الاعتيادية (١٩١٤) ، كما أن فرنسا من جانبها أعلنت عن تعداد منة الخدمة العسكرية الإلزامية من سنتين إلى ثلاث سنوات . في حين رصدت روسيا منسومات حربية هائلة ، إلاها عمل الفيشنزون الألمان بينه جيش عثماني حديث . كما تم إمداد النمسا وألمجر بقوة مدفعية حديثة ، فألبها تحصر من بريطانيا مبلغ طائلة لتلوير وتسليح بحريتها . كما أنشئت بيجيكا نظام القاذبة الإلزامي (١٩١٤).

أن تلك الامتحنات جعلت من بريطانيا وفرنسا وروسيا وصدور وبلجيكا خزينا بشرية ضخ (١٨) مليون نسمة عام ١٩١٤ في حين كانت ألمانيا والنمسا والمجر تضم (٦٣٠) مليون نسمة. وعلى صعيد القوات العسكرية حدثت دول الوسط - ألمانيا والنمسا والمجر - (١٩١١) فرقة عسكرية ، في حين استطاعت دول الرفاق - بريطانيا وفرنسا وروسيا وصدور وبلجيكا - من وضع (١٩٦) فرقة عسكرية. بينما تفوق الجيش الألماني بمنطقته ثلاث مرات على الجانب الروسي ، فأصبح للجيش الألماني بناء على هذه الأفضليات خور أدلة الحرب ، تكن الأمر بالنسبة للبحرية الألمانية كان على حرك هذا الموقف في القوات البحرية (٢٠٠٦).

وبناء على ما تقدم يمكن أن نخلف أنه وبسبب انهيار نوزن القوى في السلا قد أصبح في مهب الريح ، وأنه أصبح على وشك الانهيار لا ميبا وأن روسيا أخذت تستعيد عافيتها بعد الهزيمة أمام اليابان ، وكذلك فرنسا ، الأمر الذي أراست معه ألمانيا أن تنتهي تلك بالمرب (٢١).

من جانب آخر كانت روسيا تمد نفسها داعية الغنصر اسديفي ، وهي في هذه المرة على غير أسال التي كانت عنها سابقا بلقنغها في حبات أخرى أو لتصفها ، فهي في هذه المرة ان تترت في دعم ومساندة الشعوب السلافية إذا ما اندعت الحرب. في حين أن بريطانيا كانت تتردد كثيرا في دخول حرب العالمية غير مسبوقة للعواقب (٢٢).

وعلى الرغم من الموقف ألف الذكر لبريطانيا إلا أنها لم تخط وعدا بالحيد إذا ما اندلعت الحرب (٢٣)، فأعطت تعهدا بصيانة حيد بلجيكا (٢٤)، الأمر الذي دفعها إلى إعلان حرب على ألمانيا ما أن خرفت الأخيرة حيد بلجيكا ودفعها في ذلك توقعها وخوفها من توسع السيطرة الألمانية على القارة الأوروبية بكماها، وتهديد الإمبراطورية البريطانية في العالم أجمع. غير أن الملاحظة الجتيرة بالامتنع أن الحرب لم تكن إلا نتيجة لتضارب المصالح الحيوية للدول الكبرى ، إذ كانت فرنسا وروسيا تحشيان من الهيمنة الألمانية التي إذا ما تركت لتوسعت وأصبحت أكثر تحكما بالاقتصاد العالمي (٢٥).

وبناء على ذلك وضعت لنول الكبرى المتنافسة نصب عينها القضاء على القوى المعادية لها قضاء مبرما من دون تحقيق مكسب إقليمي أو سياسية أو اقتصادية محدودة ، على الرغم من الدعاية التي أشرها الألمان أنهم يبحثون عن تحقيق ذاتية الشعب الألماني (٢٦) ، أو ما أطلقته دول الوفاق من أنها تضرب للدفاع عن نظمها الديمقراطيبة بجهة التكنولوجيا الألمانية (٢٧).

ومن جانبها وجدت ألمانيا أن الوقت مناسب لها لتوجه ضربة لأعدائها المتحالفين ضد ^{zhil} ، حيث أن روسيا لم تكن تستطيع أن تكمن تسليحها إلا بطول عام ١٩١٧ ، فضلا عن شعوره بإمكانية تحقيق النصر أمام على أعدائها في هذه الحرب (zhil).

وبذلك نلاحظ بأن مسألة التنافس الاستعماري قد زالت بشكل تام تقريبا من أذهان سياسة ومفكرى الأمور وقرارات الدول الكبرى ، وانحصرت على محاولة تحطيم بسيفهم البعض . فالحرر عندما بدأت هي حرب أوربية داخل تلك القارة ، ومن مصالح تعود الدول القارة الأوربية وعلى أرضها تطالب بها دول أوربية أيضا غير أن . ومن ما أخذت بالاتساع تقريبا لإزالة سياسة تلك الدول .

الخلاصة :

شكل التنافس الاستعماري بين الدول الأوربية جزءا مهما من التاريخ الأوربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فقد أدت الثورة الصناعية إلى سعي مضموم من قبل الدول الأوربية للتحسين على المستعمرات بغية تأمين الأسواق الخارجية لتكاملها الصناعية الفخمة من جهة والحصول على المواد الأولية من جهة أخرى . وقد خلق هذا التسارع في السيطرة على المستعمرات أزمة ومضاعفات سياسية وعسكرية بين الدول الأوربية .

ولم تنسر المنافسة بين الدول الأوربية على المستعمرات فحسب بل تعدتها إلى المنافسة من أجل الحصول على مناطق نفوذ ومميزات اقتصادية في المناطق غير الخاضعة لتسيطرة الاستعمارية في القرون الأخرى وفي أوربية نفسها . كما لم يكن النافع الاقتصادي رغم أهميته العامل الوحيد وراء السيطرة على المستعمرات . بل أنه أصبح من متطلبات "البوية" بالنسبة لهذه الدول التي كانت تقاوم بدورها من مستعمرات ومناطق نفوذ .

ولعل أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة يمكن إيجازه بما يأتي :

١ - كانت القوى الكبرى في العالم قد وصلت نشية اندلاع الحرب إلى درجة كان لكل منها مراقف ونوازع يمكن أن تنفجر .

٢ - أن الاستعدادات العسكرية التي كانت تتم وتعلم التحالفات الثوار هلكت لسيرة الأهداف المشتركة أو الفردية في جانب ، على لى الآخر .

٣ - أن مسألة التنافس الاستعماري كانت موجودة طيلة قرون طويلة ، ولم تكن بالشراء الجديد . غير أن حدة هذا التنافس شاطلت ومن الممكن القول أنها توفقت غير أن عوامل كالقومية والتمرد والمباداة كانت

هي فرقان بمساعدة التفطن الاستعماري . فقد استخدمتها بعض الدول لقمع المتمردين أو نزاعاتها العسكرية .

فما أن ما يطلق عليه بـ (الحرب العالمية الأولى) يمكن اعتباره محاربة أوروبية لتعطية الصفة التي كانت عليها هذه الحرب . فهي حرب بين دول أوروبية حينما بدأت ، كما أنها تمت من خلال القتال بين جيوش أوروبية وعلى أرض أوروبية ، فهي إذا الحرب الأوروبية الشاملة الأولى حينما بدأت . غير أنها وبعد توالي السفين اصطفت بالصيغة العالمية لتحول منطلق الفؤاد الأوربي . خرج أوروبا إلى ساحات قتال وميادين قتالين .

٥٠ - بدأ أن مسألة التفسير الاستعماري لم تكن هي تلك المسألة التي يمكن أن تؤدي بالعلم إلى ما آل إليه فهي عامل شكوي إن صح التعبير .

المواضيع

- (i) أحمد عبد الباقي، الثورة الصناعية، ط١، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥٦-٥٥.
- (ii) محمد محمد صالح، ياسين عبد الكريم، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٩٠-٣٨٩.
- إيظان معنون العام، خصوصيات استعمار الجمهورية الفرنسية الثالثة ١٨٧٠-١٩١٤، مجلة المورخ العربي، العدد / ٥١، بغداد، ١٩٩٥، ص ٥١-٤٩.
- (iii) جون بيف، الحرب، والشم الشرقي، ترجمة محمد عبد المجيد رؤوف ولخرون، ج ٢، ط١، بغداد، ١٩٩١، ص ٤٨١-٤٨٢.
- (iv) إيظان معنون العام، محاولات بريطانيا إشراك ألمانيا في استقلالها الاستعمارية في آسيا الوسطى، مجلة المورخ العربي، العدد / ٢٤، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٨٥-١٩٠.
- (v) فاضل حسين، كاظم هاشم نعمة، التاريخ الأوربي الحديث ١٩١٥-١٩٢٩، ص١، الموصل، ١٩٨٢، ص ١٥٤-١٥٥.
- (vi) ر.ج هارليون تشوش، الاستعمار الحديث، ترجمة دولت صديق، القاهرة: ديت، ص ١٤٧.
- (vii) فاضل حسين، كاظم هاشم نعمة المسدر لسبق ١٩٨٢، ص ١٥٦.
- (viii) عبد الوهاب عباس القيسي وآخرون، تاريخ العالم الحديث ١٩١٤-١٩٤٥، ط١، الموصل، ص ٨٧.
- (ix) عبد القادر يوسف الجبوري، التاريخ الاقتصادي، الموصل، ١٩٨٠، ص ٢١١-٢١٢، وآخرون من القادسييل ينظر: إيظان معنون العام، العلاقات الألمانية الروسية خلال عهد السياسة العالمية ١٨٩٤-١٩٠٢، بحث غير منشور، هاشم ص ٢٦ وكذلك ينظر: ه.أ.ل. فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠، ترجمة أحمد نجيب هاشم ورونيه الصنيع، ط١، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٤٢٤-٤٣٥.
- (x) عبد القادر يوسف الجبوري، المصدر السابق، ص ٢١٧.
- (xi) المصدر نفسه، ص ٢١٧.
- (xii) محمد مظهر الأدهمي، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٨٧-٢٨٨ إيظان معنون العام، أهدية روس في سياسة بيسلوك الخارجية ١٨٧١-١٨٨٧، بحث غير منشور، ص ١.

(xiii) عبد القادر يوسف الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٦١٢ ؛ يقتلان سينون العامر ، معاهدة الحلف الألماني الروسي العائلية ، مجلة المورخين والآثاريين ، العدد ٧ / بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٨٩٧ .

(xiv) عبد القادر يوسف الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٦١٢ .

(xv) فلافوفا : قرية صغيرة في أعالي النبل ، وقد وصل إليها ٩٩ من الرواد الفرنسيين بقيادة مارشان عام ١٨٩٨ ودرعوا العلم الفرنسي عليها : الأمر الذي كثر بريضاها واعتبرته تصورا على مناطق فرنسا ما أدى إلى توتر خطير في العلاقات البريطانية وفرنسية . غير أن وزير الخارجية الفرنسي دلكليه استطاع بحارب مائدة مريما مع بريطانيا بعد أن انسحبت الأساطيل قد عثت والحرب أصبحت قاب قوسين أو أدنى . وهو ما عرف بأزمة فاشودة . لمزيد من التفاصيل ينظر : ثامر : المصدر السابق ص ٤١٧-٤١٨ .

(xvi) جلال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب ، المجلد الأول ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ٣٣٣٧ .

(xvii) رمزي ميرز ، النتائج الدبلوماسية للحرب العظمى ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٣٣٧ .

(xviii) رمزي ميرز ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(xix) لويس ب. ثيودور ، العالم في القرن العشرين ، ترجمة سعيد حبيب السامرائي ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٧ .

(xx) براين بوند ، الحرب والمجتمع في أوروبا (١٨٧٠ - ١٩١٤) ، ترجمة سمير عبد الرحيم نجيب ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٦٤-٦٣ .

(xxi) كارل فون هيز ، التاريخ الأوربي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤ ، ترجمة فاضل حسين ، الموصل ، ١٩٨٧ ، ص ٣٤٨ .

(xxii) غي توبوشير ، تشريح جثة الاستعمار ، ترجمة لاوارد الخراط ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٩٢ .

(xxiii) نور الدين حاضرم ، تاريخ الحركات القومية ، ج ٢ ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٢-٢١ .

(xxiv) رمزي ميرز ، المصدر السابق ، ص ٣٩ ؛ ولعزيد من التفاصيل ينظر : براين بوند ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(xxv) هاشم صالح التكريتي ، الاستعمار وأشكاله وتطور أساليبه ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٤١-٤٠ .

(xxvi) رمزي ميرز ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .

- (xxvi) جلال يحيى ، المصدر السابق : ص ٤٧٨ .
- (xxviii) المصدر نفسه ، ص ٤٨١ .
- (xxix) قنصل حسين ، كتاب هاشم حسين ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ .
- (xxx) ولعل رمزي ميور يجعل لكلام أكار تحديداً يذكره أنه لم يبق على سطح الأرض منطقة غير خاضعة لنفوذ أوربا خضوعاً مباشراً أو غير مباشر ، ينظر : رمزي ميور ، المصدر السابق .
- (xxxi) جلال يحيى ، المصدر السابق ، ص ١٢٠-١٢٣ . والتفصيل ينظر :
- James Williams; Ashon history of the British expansion; 2nd.ed; London-1934; P.260-261.
- (xxxii) تارار ، الصراع على المداة في أوروبا ١٨١٨-١٩١٨ ، ترجمة د. كظم هاشم لعدة ، تونس ، ١٩٨٠ ، ص ٥٠٧-٥٠٩ .
- (xxxiii) Winston. S. Churchill; The World Crisis 1911-1918; London-1942, P.108
- (xxxiv) كانت ألمانيا قد أكدت في معاهدة إعادة الوضع تأييدها لسيطرة الروس على المناطق التركية ، انظر : يقضان سعون العامر ، معاهدة إعادة الوضع الألمانية لأروبية أهميتها وأسباب عدم تأييدها ١٨٨٧-١٨٩٠ ، بحث غير منشور .
- (xxxv) سمعان بطرس فرج ، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٣٧٣ .
- (xxxvi) جاري برون : الحضارة الأوربية في القرن التاسع عشر ، ترجمة عزة حجاب ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٥ .
- (xxxvii) التفاسيل ، انظر : يقطان سعون العامر ، سياسة النهج الجديد والرها على العلاقات الألمانية والأروبية ١٨٩٠-١٨٩٤ ، بحث غير منشور ، ص ١٢٠١ .
- (xxxviii) علي حيدر عثمان ، تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٢٣٧-٢٦٣ .
- (xxxix) ميور (فن) ، تاريخ القرن العشرين ، ترجمة نور الدين حاطوم ، دمشق ، ١٩٥٤ ، ص ٦٠-٥٥ .

(ix) تلوار ، المصدر السابق ، ص ٦٢ ؛ ويرى كيث غربي أن الصراع على المستعمرات قد بدأ منذ القرن التاسع عشر على نحو كبير ، فقد كانت فرنسا وبريطانيا لهما الأفضلية في هذا الميدان . ويعد قيام الوحدة الألمانية والإيطالية ، وقيام الولايات المتحدة ، وألمانيا وأورث كبرى كبرى تبحث عن المستعمرات كمنظر من مظاهر العداوة القومية ومصدر للمواد الأولية وأوراق تصريف لمنتجاتها واستثماراتها.

David Thomson ; England in the nineteenth century (1815-1914) ; Great Britain -1963: "p.203

Telegram from sir Edward gray to mr E. Guhen no.317 dated on July (xli) 30, 1914. published in g.p.goch, harold temperry. British documents on the origins of war 1898-1914, vol. xi, london, 1926; p.200

Telegram from sir Edward Gray to sir E. birly, no.419, dated on august 1, 1914. (xlii) Published in ibid, p.250

Telegram from sir Edward Gray to mr barclay. No.638, dated on August 4, 1914. (xliii) Published in ibid, p.328; David Lloyd George, war memories of David Lloyd George, vol.ii; London -1936 p.51 r.o.k. Ensor, England (1870-1917), Oxford, 1966, p.456

(xliii) سمعان بطرس ، المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

David Thomson ; OP.Cit, p.203. (xliv)

(xlv) سمعان بطرس فرح الله ، المصدر السابق ، ص ٣٢٢-٣٢٥ .

(xlvi) هناك من يرى بأن الحرب التي أرادها ألمانيا في أول الأمر حرباً محلية مستشهدين بمحاولة ألمانيا تحيد بريطانيا في هذه الحرب . ينظر :

Bernadotte E.Schmitt; The coming of the war 1914; New York, 1930; P.49.

Louis Gusehalk, DonaldLach; *The Transformation of Modern Europe*, New York, 1954, p. 570

التصنيف العربي والمترجمة :

- ١- أحمد عبد الحفيظ ، الثورة الصناعية ، ١٤ ، بغداد ، ١٩٥٠ .
- ٢- براين بولد ، الحرب والمجتمع في أوروبا (١٨٧٠ - ١٩٧٠) ، ترجمة مدير عبد الرحمن ناجلي ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- ٣- بيير روفن ، تاريخ القرن العشرين ، ترجمة نور الدين حاروم ، دمشق ، ١٩٥٤ .
- ٤- تايلر ، الصراع على السيطرة في أوروبا ، ١٨٤٨ - ١٩١٨ ، ترجمة د. كاتلم علشد نعمة ، الموصل ، ١٩٨٠ .
- ٥- جفري براون : الحضارة الأوروبية في القرن التاسع عشر ، ترجمة عيلة حجاب ، بيروت ، ١٩٦٣ .
- ٦- جلال يحيى ، التاريخ الأوروبي الحديث والتعاصر حتى القرن ، اعلمية الأولى ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ .
- ٧- جون فيف ، الحرب والنقد الفكري ، ترجمة محمد عبد المجيد زرف وآخرون ، ج ٣ ، ١٤ ، بغداد ، ١٩٩١ .
- ٨- ر.ج. هارلين آشور : الاستعمار الحديث ، ترجمة نولت سافق ، القاهرة ، د.ت .
- ٩- راسي سيور : انتاليج المسيحية للحرب العنفي ، ترجمة محمد نوران ، القاهرة ، ١٩٣٦ .
- ١٠- سمعان بطرس فرج ، العلاقات المسيحية لتولية في القرن العشرين ، ١٤ ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

- ١١- عبد القادر يوسف الحويدي ، التاريخ الاقتصادي ، الموصل ، ١٩٨٠ .
- ١٢- عبد الوهاب حسان القيسي ، آخرون ، تاريخ العلم الحديث ١٩١٤-١٩٤٥ ، ط١ ، الموصل ، ١٩٨٣ .
- ١٣- علي حيدر مكيان ، تاريخ الإدارة الأردنية الحديثة ، بغداد ، ١٩٦٠ .
- ١٤- شي دويوشير ، نشر تاريخ جثة الاستعمار ، ترجمة إيوارد انشرايل ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ١٥- كارل ل. ميز ، التاريخ الأوربي ، تحديث ١٩٨٩-١٩٩٤ ، ترجمة فاضل حسين ، الموصل ، ١٩٨٧ .
- ١٦- إدوارد إ. هالام في القرن العشرين ، ترجمة سعيد عبد السامرائي ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- ١٧- محمد محمد صالح ، ياسين عبد الكريم ، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- ١٨- محمد مختار الأدهمي ، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- ١٩- محمد عوض أحمد ، الاستعمار والمناهج الاستعمارية ، قصر ، ١٩٥٣ .
- ٢٠- نور الدين جاسوم ، تاريخ المبريات الفرنسية ، ج٢ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ٢١- هاشم صالح النكريني ، الاستعمار ، أشكاله وتطوره الحديث ، بغداد ، ١٩٨٩ .
- ٢٢- ه.أ.ل. فيشر ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠ ، ترجمة أحمد نجيب هاشم وروبيع الطنيج ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

تانيا : البحوث غير المنشورة :

- ١- يقطان سعدون العابر ، أهمية روسيا في الدولة العراقية الخارجية ١٨٧١-١٨٨٧ ، بحث غير منشور مطبوع على الآلة الكاتبة .
- ٢- يقطان سعدون العابر ، سياسة النهج الجديد وثورها على العلاقات الألمانية والروسية ١٨٩٠-١٨٩٤ ، بحث غير منشور مطبوع على الآلة الكاتبة .
- ٣- يقطان سعدون العابر ، العلاقات الألمانية الروسية خلال عهد اسيسنة لعالمية ١٨٩٤-١٩٠٢ ، بحث غير منشور مطبوع على الآلة الكاتبة .

٤- يقتل سجون العمار ، معاهدة (إ-لة الخدمان الألمانية الروسية أعتبت وأسباب عدم تنفيذ
١٨٨٧-١٨٩٠ ، بحث غير منشور ، مطروح على الإلة الكلفة .

ثالث : أبحاث العلة

١- يقتل سجون العمار ، خصوصيات استعمار الجمهورية الفرنسية (١٨٧٠-١٩١٤ ، مجلة
المؤرخ العربي ، العدد ٥١ ، بغداد ، ١٩٩٥ .

٢- يقتل سجون العمار : محاذات إرما (إ-لة إشراف ألمانيا في مشكلها الاستعمارية في آسيا اوسلي ،
مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ .

٣- يقتل سجون العمار : معاهدة الحلف الألماني الروسي الثالثة ، مجلة المؤرخين والآراء ، العدد
٧١ ، بغداد ، ١٩٩٠ .

رابعاً : المصادر المكتوبة

- 1- Bernadette F. Schmitt; The coming of the war 19.4; New York, 1950.
- 2- David Lloyed George, war memories of David Lloyed George, vol.I, London 1936.
- 3- David Thomson; England in the nineteenth century (1815-1914); Great Britain -1963.
- 4- R.C.K. Ensor, England (1970-1917), Oxford, 1966.
- 5- G.P. Coote, Harlod tempory British documents on the origins of war 1898-1914, vol.xi, London; 1925.
- 6- James Williams; A short history of the British expansion; 2nd ed; London-1934.
- 7- Louis Gitschack, Donald Lach; The Transformation of Modern Europe, New York, 1954.
- 8- Wistoe S.Churchill; The world crisis 1911-1918; London, 1942.